

الحج ساحة لممارسة أدب الاختلاف



الحج مدرسة لتعليم أدب الاختلاف من خلال معطياته التكريمية الحضارية، وهو أيضاً ساحة عملية لممارسة آداب الاختلاف، من خلال ما يلي:

١- فهم المساحات المشتركة بين المسلمين في العقيدة والعبادة والحركة والأمال والآلام، وهذا ما يستطيع أن يقضي على الحساسيات النفسية التي تخلقها مصالح الحكم بين المسلمين.

والحج في أبعاده العبادية الواسعة يكاد يجمع عليه المسلمون بكل تفاصيله.

وقد يعود السبب في ذلك إلى أن حجة الوداع قد رواها أصحاب

الصحاب والمسانيد عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه محمد بن علي الباقي عن جابر بن عبد الله الأنصاري.

ونفس الرواية مع اختلاف طفيف أوردها الكليني في الكافي عن علي بن إبراهيم عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان جميعًا عن ابن أبي عمير عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام).

ويذكر أحد تلاميذ المرجع الكبير الفقيه السيد حسين الطباطبائي البروجردي (هو الفقيه الشيخ آية الله واعظ زاده خراساني) أن السيد البروجردي « وسلم هدايا من الملك سعود لدى زيارة هذا الأخير إلى إيران ومعها قطعة من ستار الكعبة، فكتب آية الله البروجردي إليه رسالة طبعت في مجلة «رسالة الإسلام» القاهرية ذكر له فيها أنه استلم الهدايا، ولكنه يعيدها لأنه ليس من عادته أن يقبل هدايا الملوك، واحتفظ بقطعة ستار الكعبة فقط تبركاً.

والسيد البروجردي بعث مع الرسالة حديث حجة الوداع بتفاصيله. ويبدو أنه (رضوان الله تعالى عليه) أراد من إرسال الحديث الإشارة إلى أن هذا الحديث الشريف يُشكّل في سنته نقطة التقاء حديثي السنة والشيعة، إضافة إلى أن العمل بمحتواه يستطيع أن يوحد المسلمين في عمل الحج، ويزيل على الأقل بعض الاختلافات الموجودة في مسألة الحج بما في ذلك (حج التمتع)».

2 - التمرин على الحركة المنسجمة، وهي مشهودة في الطواف والسعى، وأكثر من ذلك في الوقوفين والإفاضة والمبيت والعيد، ولا يجوز أن ينفرد الحاج عن الجماعة حتى ولو ثبت له أن الوقوف ليس في الوقت المعلن في بلاد الحرمين الشريفين. وهذه الحركة المنسجمة درس لما يجب أن يكون عليه المسلمون من انسجام في كل شؤونهم الحياتية.

3 - التمرين على خطاب الحوار، فهذه العبادة قد حُظر فيها (الجدال). والجدال غير الحوار، الجدال مظهر من مظاهر التخلف يبعد عن ذاتية المجادل وأنايته ورغبته في فرض رأيه على الآخر. المجادل لا يسمع، بل يتكلّم، وهو حين يواجه إنساناً يتحدّث معه، فإنه لا يُصغي، وإن رأيته أمام المتتكلّم ساكتاً، فهو يتتكلّم بدماغه أيضاً في انتظار الرد والمجادلة والمحاجمة، وهذه الحالة قد حُظرت في الحج في سياق حظر المحرمات التي تبطل الفريضة)الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجَّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْتَمِدُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الرَّازِقُوْيَ وَأَتَقُونَ يَـا أُولـي الـأـلـبـابـ (.

وتحظر الجدال يعني إقامة علاقة مع الآخر قائمة على الحوار. وفي الحوار كما ذكرنا كلام واستماع، ورأي ورأي آخر، وأخذ وعطاء. وهي ظاهرة حضارية لا تتحقق إلا في حالة اجتناب الطاغوت، أي اجتناب العوائق التي تقف في طريق كمال الإنسان والآلهة التي تتعملق في مسيرته:)وَالْذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَزَّا بُوْلَهَا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْهُمْ عَبَادَهُمْ إِلَيْهِمْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَدَبَّرُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ .

4 - التمرин على النظر إلى الأهداف البعيدة للشريعة، والحج مفعم برموز البناء الحضاري للإنسان والمجموعة البشرية. وفي النصوص الإسلامية تأكيد على معرفة ما في المذاهب من عطاء تربوي بذاته، نظير ما ذكره الإمام السجاد زين العابدين(ع) للشبليني بعد عودته من الحج.

الحج إذن مدرسة لأدب الاختلاف وساحة لممارسة هذا الأدب عملياً.

فهو مدرسة للإمام يغذّي المسلم والجماعة المسلمة بالكرامة التي هي أساس كل تطور حضاري، وفي ظل الجو الحضاري يعرف الإنسان كيف يتحاور وكيف يختلف وكيف يستثمر الاختلاف لإثراء مسيرته التكاملية.

كما أنه ساحة لممارسة أدب الاختلاف حين يعيش الحجاج عبادة جماعيةً منسجمةً بعيدةً عن الجدال وعن الارتكاس في الذات الضيق، ومفعمه بالرموز التي تشكل معالم في طريق مسيرة الإنسان نحو الكامل المطلق سبحانه.

نحن نتوجه إلى حجاج بيت الله الحرام ونخاطبهم بما خاطبهم به الإمام السيد علي الخامنئي ونقول: «لقد توجهتم باسم الله وبدعوة النبي الله إلى ديار الحبيب [من كل فج عميق] ووفدتكم على حريم بيت الله، وأحرمتكم للحج وللهجرة إلى الله، وانتهجمت سبيل إبراهيم مرددين بلسان الفطرة : [إنني ذاذهب إلى ربّي سيهدين] ومتربّنين بلسان الحال والقال: [وأرنا مناسكنا وتب علينا]. والمرجو أن تذوقوا ما طلبته إبراهيم من ربه من [ثمرات كل شيء]. وأن تقر عينكم بمشاهدة المنافع التي بشر بها رب العالمين».

وحج مبرور وسعي مشكور إن شاء الله تعالى.

محسن الأراكي
الأمين العام للمجمع العالمي للتقرير بين المذاهب الإسلامية